

هل انتهى دور العلماء

الإهداء

إلى إخواني الأعزاء..
ومن بيدهم الحلُّ والربط..
إلى الذين يخافون عليَّ من أن تذهب نفسي حسرات
فلتكن تجربتي درساً وعبرة
ولتكن حياتي لتصحيح المسيرة والمصير
كرمي عيون إمام الزمان (عليه السلام) ودولته

عبدالله
سامي خضرة

روي في الخبر عن سيد البشر (ص)
"أقرب الناس من درجة المبوّة أهل العلم والجهاد".
وعن رسول الله (ص):
" من استقبل العلماء فقد استقبلني, ومن زار العلماء فقد زارني, ومن جالس العلماء فقد
جالسني, ومن جالسني فكأنما جالس ربي".
وعن علي أمير المؤمنين (عليه السلام):
"من وقّر عالماً فقد وقّر ربّه"
وعنه (عليه السلام):
"إذا رأيت عالماً فكن له خادماً".

يقول العبد الصالح:

"إنّ النظام الفاسد وعملاء الأجنبي يعملون لتفكيك الوحدة, فيقولون مثلاً: هذا عالم لأننا
نرضى به بشكل إستثنائي! ولكن بقية العلماء لا نقبلهم!!!"

وهذه حيلة قد بدؤوا باستعمالها, وأنا قلت دائماً, لا تتبععدوا عن العالم, لأنه لا طائل من وراء
ذلك, فالناس مع العلماء, لأنهم مظهر القرآن, والمبيّنون للإسلام, وهم مثال النبيّ
الأكرم (ص) والناس تعرفهم جيداً.

فالناس يحبون العلماء, وهذا الحب إنّما هو حب للإسلام, وإذا بعدتم عنهم وتركتموهم
فسيقضي الطغاة عليكم عند أول فرصة سانحة".

ويقول رضوان الله عليه :

"وما من شك في أنّ متاعنا اليوم في البعد الاقتصادي والثقافي والاجتماعي... إنّما هي من الآثار المشؤومة للجامعات المبتلية بالمستشرقين والمستغربين الذين هم أعداء الإسلام وأعداء الوطن".

ويقول رضوان الله عليه:

"أنتم يا طلاب العلوم الدينيّة، ويا فضلاء وعلماء الحوزات المقدسة، وخصوصاً حوزة قم المقدسة، لا تخافوا اليوم من الإهانات... إنكم اليوم حراس الإسلام والقرآن، حافظوا على هذا الحصن الذي هو هدف لسهام الأجنبي وعملائهم، واستمروا بكل قوة وتوكل على الله تعالى... في تحصيل ودراسة فقه الإسلام وتهذيب الأخلاق وعرشاد الناس وهدايتهم".

ويقول قُدس سره في الفتوى الشريفة:

" لو كان سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب اعلى الله كلمتهم، موجباً لإساءة الظن بهم وهتكهم وانتسابهم إلى ما لا يصحُّ، ولا يجوز الانتساب إليهم... يجب عليهم الإنكار، لدفع العار عن ساحتهم، ولو لم يكن مؤثراً في رفع الظلم".

المقدمة

هل إنتهى دور العلماء؟!!

لم يعد مثل هذا السؤال مستهجناً بعد أن أصبح على كلّ شفة ولسان...

فالجميع يتساءل:

أين العلماء، وأين دورهم؟

ولماذا إقصاؤهم عن الحياة العامة وعن المؤسسات ومواقع القرار؟

وهل هذا لمصلحة الإسلام المحمدي الأصيل؟

أم في إقصائهم ضماناً للمسيرة؟!!

والغريب أنه إذا وقعت واقعة, أو إنتشر فساد, أو حصلت ورطة, يصرخ الجميع: أين العلماء!!!

والسؤال هذا ليس تفقداً لهم, أو إستعانة بهم, أو حسن نية تجاههم... بل لتحميلهم المسؤولية!!!

هكذا وبكل بساطة:

يحملون مؤولية ما لم يعرفوا, ولم يقرروا, ولم يستشاروا في شأنه ... ولم يدلوا بدلوهم... ولم يسمح لهم بإعطاء الرأي فيه... بل ما منعوا من إصلاحه!!!

لعل ذلك لأنهم الحلقة الأضعف.

أم أهون من يمكن أن "يحمل" المسؤولية.

أم أنهم باتوا مكسر عصا!!!

والخطير أن المساهمين في هذا الإنحراف وفي هذا "التضعيف" كثر... وإن كانوا لا يعلمون.

وغاب عن ذهن هؤلاء: أن تضعيف العلماء تضعيف لهم... وأن تقوية العلماء, إغزاز لهم, وغفل هؤلاء أنهم يخدمون الاستعمار والاستكبار... وهم لا يشعرون.

هذا فضلاً عن أن في إغزاز العلماء نصرة للإسلام وقياماً بالواجب الإلهي وبراءة للذمة.

وتتخذ عملية إبعاد العلماء عن دورهم شكليين:

1- الهجوم المباشر, كأن يطلب إليهم عدم التدخل في الشأن السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الإعلامي.

2- الهجوم غير المباشر, كإطلاق الشائعات عليهم, واستغلال بعض الأخطاء ونشرها, وتصويرهم بمظهر القاصر الذي لا يعرف مصلحته.

ومعلوم أن السمّ تأثيره واحد, وإن كان وعاؤه مختلفاً.

ولا شك أننا إذا بقينا على هذه الحال... لن يكون المستقبل مفرحاً... وستكون العواقب كارثة على الجميع...

وإليك القصة من أولها... لكن ليس بكل تفاصيلها, لأنَّ ليس كل ما يعلم يقال, بل قد يقال لبعض المعنيين, وقد يقال في وقت آخر.

وقد يحتفظ به ليزيد الجرح إيلاًماً وتقرُّحاً, حفاظاً على المسيرة, ورجاءً ثواب علم الغيوب سبحانه وتعالى.

"فلو أنَّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً, ما كان به ملوماً, بل كان به عندي جديراً"⁽¹⁾

(1) نهج البلاغة, الخطبة 27.

الفصل الأول: كلمة حق بين المعمَّم والعالم

أول أسلوب "لتحييد" العلماء عن الدربو وإخراجهم تمهيداً لإخراجهم... تمويه الهجوم بقتابل دخانية لإخفاء الكثير من المواقع, وخط العديد من الوقائع, وتوهين موقع العلماء, في الإشارة إلى وجود "معممين" فحسب.

والقصد من إطلاق المصطلح, التشكيك في "النوع" ...ومن ثم إظهار صعوبة التفريق والتمييز بين العالم والمعمَّم... تمهيداً للانتقال على مرحلة "التحييد" والاجتناب... وإشعار المستمع (والمجتمع) أنَّ الكلَّ متَّهم بأنه "معمم" ولم يترق إلى رتبة عالم, حتى يثبت العكس.

وهيئات أن يثبت ذلك... فضلاً عن كيفية ذلك, والموازن القابلة لكل إجتهد, والمفتوحة على مصراعها...

أما ان يقال أنَّ هناك مستويات دراسية, وأنَّ البعض لم يحصل علومه بما فيه الكفاية وتعمَّم باكراً:

1- فهذا أمر حصل في كل حقبات التاريخ... وسوف يحصل دوماً, ولا ينبغي أن يكون, بل يحرم أن يكون سبباً للتستتر وراءه لتوهين العلماء وإسقاطهم عن الأعين ...

والمفروض تقويتهم وإعزازهم وإثبات وجودهم... لأنه في ساحة الامتحان والمسؤولية
تكشف معادن الرجال.

2- هذا حصل ويحصل في كافة الاختصاصات والميادين... فمن يقول أنّ الأطباء
سواسية في مستوياتهم وكفاءاتهم, ومن يقول أنّ المهندسين كذلك... والمحامين...

بل من يدّعي أنّ كلّ من يحمل شهادة "دكتوراه" في المجتمع, إنما يحملها عن جدارة
واستحقاق... ولم يعد غائباً عن أحد ذكر الصفقات التي تحصل, بعد أن ذاع صيتها,
وإنتشرت المكاتب التي تؤمن "الدكتوراه" في العديد من البلدان والجامعات "المشهورة"
وبأسعار "مختلفة" لها حدٌ أدنى وحدٌ أقصى, وفي سوق مفتوحة, وبورصة متقلّبة؟

والسؤال:

لماذا التجرو فقط على العلماء دون الآخرين؟

أما إذا أردنا الاستفاضة في الحديث عن المهندسين الذين يخربون أكثر ممّا يعمرن,
والأطباء "الضارين" وربما القاتلين... لاكتسبنا عندئذ أعداء جدد نحن في غنى عنهم...
وعلى كل حال, الواقع من حولنا والإعلام في عالمنا يشهدان للكلام المتقدم بثقة ووفرة...
وأغنيانا عن التفصيل والتطويل .

وكم صدمنا بأشخاص يحملون "يشهدان عالية " في مضمون حديثهم وأساليبهم ومنطقهم
ومستوياتهم والكثير من تفاصيل حياتهم ...

3- ثم إنّ أكثر من يتكلم عن "المعمّمين باستخفاف, و"يكتشفهم" ويميّز بينهم وبين
العلماء, هم في العادة ممّن لم يحسنوا وضوءهم, وبحاجة لمن يضبط قراءة صلاتهم!!!

هذا فضلاً عن مفاهيمهم المخالفة للإسلام, وضحالة ثقافتهم في السنّة والقرآن.

ثم ينصبّون أنفسهم أنمة في التمييز بين العالم والمعمم!!!

وكان الأحرى بهم أن ينتظروا قليلاً ليفرقوا بين الآية القرآنية والرواية النبوية.

4- لو سلمنا جدلاً بأنّ هنال من لا يستحق التصدي للأمر العامة... فهل هذا يشمل
الجميع؟

وهل يجرو أحد على القول:

أنّ الساحة كلّها "معمّمين" (بحسب مصطلحه) ولم يعد هنال علماء؟

إذاً, أين العلماء؟

وهل اتخذوا مواقعهم الطبيعية؟

بينما الواقع يشهد أنّ التهميش يكاد أن يكون تاماً وشاملاً ... إلا بعض النوادر والاستثناءات.

ولعلّها للضرورة الفنية... أو من عدّة الشُّغل!!!

5- نرجو أن تعود الأمور إلى نصابها, قبل فوات الأوانز

بين المثقفين و " رجال الدين "

يصرُّ البعض وعلى الطريقة الغربية, وبخلفية ثقافية, وتحت تأثير المدارس التبشيرية التي تربوا بها... ونتيجة للروافد الفكرية التي تلتقط من كل حدب وصوب, والمفتوحة على كل الاحتمالات والمصطلحات, إلا الإسلام المحمدي الأصيل..

يصرُّون أنّهم مثقفون, وأنهم طبقة فوق " عامة الناس " .. وبالتالي هناك فرق "كبير" بينهم وبين الإكليروس أي "رجال الدين".

تماماً كالفرق بين "التنويريين" و "الظلاميين".

وللأسف فإنّ هذا الفخ المحكم, يقع فيه الكثيرون من العاملين في الإعلام الاسلامي أسضاً.. ولمسنا بعض بركاتهم في مناسبات وأحداث مفصلية جادوا فيها بأفكار ومصطلحات لو تجنّبوا لتقربوا من الله سبحانه أكثر.

هؤلاء أنفسهم تحدثوا عن الإسلام المتطرف والإسلام المعتدل, وعن الإنتخابات "الفلانية" حيث انتصر الخط المتحرّر المنفتح على خط الإنغلاق والتزمت!!!

وبالمناسبة أذكر تلك المجلة "الإسلامية" التي كانت تمدح رجلاً لأنّه لم يكتف بالعلوم الشرعية "التقليدية", بل ذهب إلى فرنسا لنيل درجة الدكتوراه!!!

وفي مجلة "إسلامية" مدحُ لشاعر, ومن جملة " مآثره " أنّه " خلع " العمامة (هكذا بالنص) ورماها جانباً ليخرج من المجتمع المنغلق (يقصد حوزة علمية عريقة) إلى العالم الرحب.

هذا مع العلم أنّ شاعرنا كان يتباهى بشرب الخمر والزنا والعياذ بالله تعالى.

و"المثقفون" أولئك لهم تجمعاتهم وعناوينهم التي يتحركون من خلالها, ولهم مفاتيحهم ووسائلهم وصفحاتهم في وسائل الإعلام, وبرامجهم ونواديهم وسهراتهم... وتطلعاتهم.

وكم أنعشوا ذاكرتنا عندما ذكرونا بالحقبة الشيوعية البائدة, والمصطلحات الماركسية وأخواتها, والترف الفكري الذي حذر أمتنا عقوداً.

ومشكلة هؤلاء "المثقفين" أنهم يعتبرون أنفسهم "حضاريين" ومنفتحين, وليسوا منغلقيين ومتزمتين "كرجال الين".

والدليل على ذلك:

أنهم يختلطون مع كافة الطبقات والفئات, وفيما بينهم اجتماعات وزيارات, وجلسات وحوارات.

أنهم بالحوار فقط, يمكن أن يقنعوا الآخرين, ويتناسون أن أنبياء الله (عليهم السلام) استعملوا الحوار وغيره... وأموراً تعتبر في عرف "المثقفين" لا إنسانية ولا تناسب القرن العشرين!!!

ومن جملة الأدلة على "حضارتهم" أنهم يحفظون ويستعملون كلمات ومصطلحات... لا يفهمها إلا أهلها.. "رجال الدين" ليسوا من أهلها!!!

وقد حذر الإمام في وصيته الخالدة من بعض هؤلاء المنبهرين بالغرب والشرق الذين ينتقدون ويسخرون من ثقافتنا وأدبنا وفكرنا.. وينشرون بأعمالهم وأقوالهم وكتاباتهم العادات والتقاليد الأجنبية.

"فإذا كان في كتاب ما أو مقالة أو خطابة عدة مفردات أجنبية فإنَّ الناس تقبل المحتوى وتعتبر الكاتب أو الخطيب عالماً ومثقفاً!"

العلماء والسياسة

من أبرز الأمور الخطرة التي تطرح وبقوة:

لماذا يتدخل العلماء في السياسة؟

ولعلَّ كلَّ العناوين الأخرى تنطلق من هذا الأمر, بهدف تحييد العلماء عن ساحة التنافس خاصة أنهم يمتلكون نقاط قوة "طبيعية" أو تفلتاً عن وضع الأمور تحت "المراقبة" الشرعية التي قد تسبب تقييدات ومتاعب الحلال والحرام, وما يجوز وما لا يجوز!!!

وتتوالى الأسئلة... وبمرارة, هذه الأسئلة التي من المعيب أنّها آخذةٌ بالانتشار والتحدي والتضليل.

وهل يفهم العلماء السياسة؟

أليس الأجدر بهم أن يهتموا "بالدين" ويتركوا السياسة "لأهلها"!!!

لماذا لا يهتم العلماء بمساجدهم وصلاتهم, وليكفوا عن التدخل في أمور لا تعنيهم!؟

السياسة بحاجة إلى أساليب "لا تليق بموقع العلماء وحرمتهم".

أتناسى هؤلاء أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والدفاع عن المظلومين, والمطالبة بحقوق الناس, ومحاربة السلطان الكافر, والدعوة إلى دين الله, وإرجاع الحق إلى أهله, والجهاد في سبيل الله... هي من صلب تكليف كلّ مسلم... فضلاً على أن يكون عالماً!؟

وهل هذا إلا سياسة؟

وهل يمكن لأحد أن يعطينا عنواناً سياسياً واحداً فقط, لا "يجوز" للعالم أن يتدخل فيه؟

أوليس من السياسة:

تحرير الأرض, وصيانة المقدّسات, وتحكيم الشريعة, ومقارعة الفساد, والمطالبة بالحقوق, وردع المعتدي, ومكافحة الظالم, والنهي عن مظاهر الفساد, والحفاظ على كرامة المسلمين, والمطالبة بالماء والكهرباء والمشاريع الزراعية والاقتصادية, والحرص على عدم الإرتهان للكافر والمستعمر, والدفاع عن الإعلام الإسلامي, والردّ على الإعلام المعادي, وفضح المنافقين والعملاء ومحاكمتهم...

ومن أولى بذلك من العلماء؟ بل الواجب يتضاعف عليهم.

أوليس هذا سياسة؟

ألا يلاموا من رب الأرباب سبحانه وتعالى لو سكتوا أو تقاعسوا أو تراجعوا أو تهرّبوا أو جاملوا؟

ومن هذه الناحية, ماذا يختلف "الدين" عن السياسة؟ وبماذا تفرق السياسة عن الدين؟

والغريب أنّ المهندس الزراعي والأستاذ و"الفنان" والصحافي والتاجر وصاحب العقارات والاقتصادي والأديب والتموّل والشاعر والمحامي والعسكري والمذيع والصيدلي والسيدة "المخملية" يحق لهم أن يمارسوا السياسة, ولا تنكر أحدٌ ذلك عليهم...

أما إذا تكلم عالم من العلماء، قامت الدنيا كيف يتدخل "رجل الدين" في السياسة؟

والطريف أنّ شاباً يحسن العرض والتحليل السياسيين وهو موضع إعجاب وتقدير، فإذا درس وتعمّم استهجن حديثه في السياسة!

والأطرف أنّك لو جلست (بصفتك معممًا) مع أحد هؤلاء الذين "يتعاطون" السياسة "حصراً" لأرشدته إلى العديد من الأمور، ومنها ما هو منشور في الصحف ولا علم له بها... ولزودته ببعض التحليلات والآراء التي يفترض أن يكون عارفاً بها!

على كل حال:

في التاريخ أمثال هؤلاء كثير.

والغريب أنّه يحقُّ للطبيب أن يعطي رأيه في المشاكل الاجتماعية والاقتصادية و"الفنية" والطبية ولا من يعترض، والصحافي يصبح إقتصادياً وقانونياً يحدّد الصواب من الخطأ، و"الفنان" يحل مشاكل الناس ويضع حلولاً لمشكلة الكهرباء، وسيدة "المجتمع المخملي" الراقية تنظر للأجيال والمستقبل، والمهندس يتكلم عن الأمن والزراعة، والجامعي يعطي رأيه في الإسلام والأحكام والتنزيل والتأويل...

أليس كل أنبياء الله مارسوا السياسة؟

أليس كل أئمتنا كانوا أئمة في السياسة؟ وما هي سيرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما هي سيرة الحسين بن علي (عليه السلام)؟

أليس الآيات القرآنية التي تتناول المواضيع "السياسية" والعامة والحكم والشريعة، أضعاف تلك التي تتحدث عن العبادات بالمعنى الأخص حصراً في الصلاة والصوم والحج...؟!

أليس هدف الأنبياء جميعاً تحكيم شريعة الله تعالى؟

ليس هدف الأئمة والعلماء والفقهاء تحكيم شرع الله سبحانه؟ وإلا ما نفع رسائلهم العملية، خاصة المعاملات بفروعها وتفصيلاتها، ولماذا وضعت؟

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف، صفحة 63.

وما الهدف الأساسي لمولاي إمام الزمان (عليه السلام) أليس إقامة دولة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ليملاها قسطاً وعلاً، ولتكون دولة كريمة تعز الإسلام وأهله، وتذلل النفاق وأهله؟

وكيف يعزُّ الإسلامُ ويذُلُّ النفاقَ ولا يبقى مكانٌ على وجه الأرض إلا وينادي فيه بـ"إلا
إله إلا الله"؟

هل يكون بالرضوخ والتنازل والتذاكى والمداهنة والمجاملة... من وراء ظهر العلماء
وبعيداً عن "تعقيدهم" وتقييدهم؟!

أُنسي هؤلاء أنَّ قادتنا الذين صنعوا عزَّنا وفخرنا ومجدنا ونصرنا هم... علماء؟

وانَّ وليَّ أمرنا هو من العلماء الذين تربوا وتعلموا وترعرعوا بين العلماء؟

وأنَّ النعم التي نعيش فيها، والتي من جملتها أنَّها جعلت، لمن يثير مثل هذه الشبهات،
جعلت له صوتاً ومكاناً... إنَّما هي بفضل جهاد العلماء ودمائهم، وببركة علمهم وعملهم.

أما "الأساليب التي لا تليق بموقع العلماء وحرمتهم" التي يدَّعيها البعض لإثارة
الشبهات فنتمنى لمن يتحدث عنها أن لا يرجع إليها ثانية، لأنَّه بذلك يضع نفسه في موضع
الشبهات، بل ينهَم نفسه بصريح العبارة.

ومن كان كذلك ليس اهلاص أن يتولى مسؤولية عن المسلمين، بل الواجب عليه أن
يتوب لفوره، قبل ان يقوم من مقامه.

فما يجوز أو لا يجوز هو سواء للجميع، للعلماء وغيرهم...

وحلال محمد(ص) وحرامه سواء للجميع، للعلماء وغيرهم.

أمَّا إذا كان هدف هؤلاء إبعاد العلماء عن الساحة لأسباب أخرى ومكاسب عاجلة...
ويتسترون وراء بعض الجمل والكلمات "حرصاً على كرامة العلماء"!

فنقول لهم:

لا تظنُّوا أنَّ كلَّ الناس أغيياء، ويمكن تضليلهم للمسلمين إنَّهم وحرام...

أما حرصكم الموهوم فيسقطه حرص الإسلام على علمائه وقد حدَّد الله سبحانه تكليفهم.

ولمن قال أنَّ الحكومة والسياسة وفنَّ الإدارة تناقض الأهداف المعنوية السامية وتهذيب
النفوس والعبادات والأذكار التي تقرَّب من الله تعالى... فنحليه إلى قول الإمام في الوصية:

"ومع الأسف فإنَّ هذه الدعاية تركت آثارها في بعض العلماء والمتدينين الجاهلين
بالإسلام، فكانوا يرون التدخُّل في الحكومة والسياسة بمثابة المعصية والفسق... وهذه
فاجعة كبرى على الإسلام..."

ولعلَّ هؤلاء جاهلين بالحكومة والقانون والسياسة أو أنَّهم يتجاهلون ذلك، لأنَّ تطبيق القوانين بالقسط والعدل، وعدم فسح المجال للظالمين والحكومات الجائرة، وبسط العدالة... ومنع الفساد والفحشاء... وقطع الطريق على الإستعمار والاستبعاد، وإقامة الحدود والقصاص والتعزيرات ... ومئات القضايا من هذا القبيل... لا تصبح قديمة بمرور الزمن".

ويتابع رضوان الله عليه ليقول:

" إنَّ الذين يرون فصل الإسلام عن الحكومة والسياسة فيجب أن يقال لهؤلاء الجهلة أنَّ نسبة أحكام القرآن الكريم وسنة رسول الله (ص) في الحكومة والسياسة لا تقاس بها أبداً نسبة الأحكام في سائر الأمور، بل إنَّ كثيراً من أحكام الإسلام العبادية هي، عبادية، سياسية، والغفلة عنها هي التي جرت هذه المصائب".

وقد يقول قائل:

ليس كل العلماء اهلاً لتعاطي السياسة.

وهذا كلام معروف، ولم يأت صاحبه بجديد... لكن:

هل كل من يتعاطى السياسة أهل لذلك؟ فلماذا لا يمنع ويحارب من ليس أهلاً؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى:

هل من هو لائق ومناسب ويمكن أن يلعب دوراً مميزاً من العلماء، هل أخذ موقعه السياسي وفسح له المجال؟

وهل يمكن أن لا يكون بين العلماء 20 بالمئة يقدر على ذلك؟ فأين هم؟

وهل يجوز تعطيلهم واستبدالهم بغيرهم ممن يحفظ بعض المصطلحات وله بعض الاتصالات؟

ما لكم كيف تحكمون؟

ونرجو أن لا يكون صحيحاً ما نقل عن ضرورة "تحييد" العلماء عن التصدي، لأنه لو صح لكان طامةً كبرى... ولن نقول أكثر من ذلك.

ثم، وهذا إشكال كبير:

هل يمكن تشخيص المفسد والمصالح بعيداً عن الموازين الشرعية البالغة الدقة التي لا يدركها إلا بعض أهل العلم ممن نور الله قلوبهم؟

وهل يمكن العمل السياسي بكافة مستوياته من دون هذا التشخيص؟

إنَّ أدنى نظرة إلى أمّهات الكتب الفقهية والروائية حول أصول التعاظم مع السلطان وأمواله وعطاياه ومجالسته ومحادثته، حتى السلام عليه والتبسم له... فضلاً عن الشعور إتجاهه... وتطبيق الحدود، ودفع المفاصد وجرّ المنافع والدخول في الولايات وحدودها... والدخول في الدولة الظالمة... وأحكام الجهاد وفروعه...

إنَّ أدنى نظرة إلى ذلك تظهر مدى الأمية والتبسيط التي يعيشها بعض من يتصدى لسياسة المسلمين.. وهؤلاء يهلكون ويهلكون..

العلماء والمؤسسات الإسلامية

من الصعب أن يفهم المرء كيف تقوم مؤسسة إسلامية، وتستمر مراعية للضوابط الشرعية، من دون أن يكون للعلماء دورٌ أساسي فيها.

ومن غير الواضح كيف يمكن أن يتصرف "القيّمون" بالأموال الشرعية والأمانات والكفارات وأموال بيت مال المسلمين، والخمس خاصة... وفقاً للدقة في التوزيع وحدودها.

وقد رأينا في هذا المجال عجباً!

حتى أنّ عامة الناس تأبى أن تصدّق أنّ العالم الفلاني الذي طلبت منه التوسّط أو التدخل في أمر يتعلق بمؤسسة ما... غير قادر على فعل شيء، وغير مؤثر فيها.

العلماء وأخطاؤهم

العلماء بشر.. يجري عليهم ما يجري على سائر الناس من الحب والبغض، والفقر والغنى، والقوة والضعف، والقناعة والطمع، والتواضع والغرور، والحسد والغيرة وحب الدنيا...

ومنهم من يسعى وراء منصب ... ومنهم من يخطئ... ومهم من يسيئ... ومنهم من
يحرص على ألقاب معينة... ومنهم من يسعى وراء مال ...

ومنكم أكثر من ذلك، أو أقل ...

فهم بشر كسائر البشر...

لكن هل من العدل أن تؤخذ هذه الأمور ذريعة للنيل منهم والفتك بهم ومحاصرتهم؟

وهل يجوز تعميم هذه الاخطاء على الجميع أو نشرها أو التجديت بها؟

وهل يجوز أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا؟

ومن منا لا يخلو من عيب يخشى فضيحته يوم يقوم الناس لرب الأرباب تبارك وتعالى؟

وأى طبقة في المجتمع أو فئة من البشر أو جماعة من الناس، تدّعي الكمال في أفرادها،

نعم العلماء يخطئون؟

لكن: لم نكتشف شيئاً جديداً، بل هذا ما نطق به القرآن الكريم والأحاديث الشريفة: فمنهم
أهل الآخرة ومنهم أهل الدنيا، ومنهم علماء السلطان ومنهم علماء الديان، ومنهم من يعمل
بالدين، ومنهم من يشتري الدنيا بالدين، ومنهم من يبيع الآخرة بدنيا غيره.

ومن كان حريصاً على هذا العالم والإسلام فليصحح وليعظه... لا أن يتتبع عثراته
ليفضحه، والعياذ بالله...

من كان حريصاً على مصلحة الإسلام فليعن علماء الإسلام على آخرتهم.

من كان غيوراً على دين ربه فليستر على العلماء رجاء أن يستر الله عليه يوم الفاقة.

إنّ صيانة علماء الإسلام صيانة للإسلام والمسلمين والآخرة ونهضة إمام الزمان (عليه
السلام).

أيّاً كان الإنحراف أو الخطأ أو الزلة فلا يجوز أن تستعمل لفتنة الناس عن الدين ولتقوية
شوكة المنافقين.

العلماء والخمس

شائع بين الناس دفع الخمس للعلماء, فيأخذوه لينفقوه في شؤونهم!!!

وقد يطلب البعض دفع قسم من الخمس و"المسامحة" بالقسم الباقي!!!

وقد يشترط من يريد القيام بواجب الخمس أن يعطى جزءاً من المال لتوزيعه على من يريد ممّن يعرف من الفقراء أو تعزيزاً لوضعه الاجتماعي!!!

والبعض يظن أنّه إذا أعطى سهم السادة لعالم من السادة فإنّما يعطيه هذا المال لينفقه على نفسه على كل حال!!!

وكل هذا فيه شبهة أو خطأ...

فالخمس, باسهم المباركين ينفق في موارد محدّدة وبشروط محدّدة لا يجوز لأحد أن يتجاوزها مهما بلغ علمه وشأنه.

فسهم الإمام (عليه السلام) ينفق في شؤون المسلمين ومصالحهم كما هو محدد في الكتب الفقهية.

وسهم السادة ينفق على فقراء السادة... وليس من حق العالم أن يعطي من ليس محتاجاً, أو أن يأخذ لنفسه, إن لم يكن محتاجاً أيضاً.

ففي كثير من الأحيان لا يأخذ العالم الذي قبض الخمس شيئاً لنفسه, بل يكون فقط واسطة في نقل الأمانة.

وهناك بعض العلماء يدفعون الخمس مما زاد عنهم نتيجة بعض التجارات أو الموارد التي ينتفعون منها... فيخمس هذا العالم كما غيره من الناس.

أما الفكرة المرتكزة في أنّ الخمس ينفق على العلماء, فقط عليهم, فلعلّ أصلها شبهة أو إشاعة هدفها تضييق ثقة الناس بالعلماء وصدّهم عنهم... أو التستر وراء هذه الفكرة لتبرير عدم دفع الخمس.

العلماء ومعيشتهم

يكثر اللفظ نيلاً من العلماء حول أسلوب معيشتهم... مع العلم أنّ الأكثرية الساحقة منهم, تعيش عيشة وسطاً أو دون ذلك.

وقليل من تراه منهم ميسور الحال تماماً أو لا يعاني في معيسته.

وبالرغم من ذلك تنتشر الإشاعات المدعومة بسوء الظن وخبث السريرة حول فلان من العلماء وبيته وسيارته...

وكما قلنا فيما تقدّم أنهم بشر ومنهم من يخطئ أو يسرف أو لا يحسن ضبط التعامل مع أهل بيته أو ينحرف أو ينحرف... كل هذا قد يحصل، وسوف يحصل، لكنه استثناء.

أما أن تجول التهم والإشاعات وتصول فهذا أيضاً مخالف للإسلام.

فربّما كان لهذا العالم أملاك أو أموال خاصة، قد ورثها أو اشتراها أو أهديت له أو كان له تجارة أو مصدر مالي خاص⁽¹⁾.

وفي الإسلام يجوز للإنسان أن يكون غنياً، بل هذا من النعم الكبيرة، بل يكاد لا يخلو دعاء من الأدعية المأثورة عن طلب الغنى، ووفرة المال، واليسر والاستغناء عمّا في أيدي الناس.

ويفترض من الأنبياء كانوا مثلاً يضرب في كثرة المال، وكم من الإمة من كان ينفق ما يعجز عن إنفاقه الأغنياء ويعتق الإمام والعبيد، ويوزع المال والطعام والعطايا، فهل يكون هذا عن فقر؟

وكم من العلماء والزهاد والفقهاء من كان أهل الغنى والأملاك والعقارات التي أنفقها في طاعة الله سبحانه: في السعة على الإخوان والضيوف والعيال والجهاد وشعائر الله.

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف، صفحة 73.

لو شئنا ذكر الأسماء والتفاصيل لخرجنا عن الموضوع.

يبقى: أنه لا يجوز أن نعامل، بل ليس من المنطق أن نعامل، من نسلمهم وضوءنا وصلاتنا وصومنا وحجنا وزواجنا وأعراضنا ودماءنا وديننا... معاملة المشكك المستريب... وعيب أن ننظر إليهم نظرة الشيوعيين إلى البورجوازيين في مجتمع الماركسيين.

العلماء و"الوظيفة"

المعروف أن كلّ مهنة تدرّ أرباحاً على صاحبها، وكلّ وظيفة لها أجر معلوم.. وهذه سنة الحياة.

أما العلماء, وللعلم فقط, ودفعاً لوهم بعض الناس, فلا يأخذون أجراً, وهذا طبيعي, لا عن خطبة ولا عن درس ولا محاضرة ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر وإصلاح ذات البين... وسائر نشاطاتهم الأخرى.

فكان يفترض تغطية نفقاتهم, من بيت مال المسلمين, تماماً كما أنّ السفراء الذين يمثلون بلادهم في الخارج, والوزراء المتفرغين لخدمة الناس, والنواب الذين يمثلون الشعب... وغيرهم, تغطي نفقاتهم من مال دولهم والحكومات التي يتبعون لها.

فكما للكفار قائد ودولة كذلك للمسلمين ولي أمر وحكومة.

وإذا لم ينظم هذا الأمر فسيبقى الثغرة الأكبر في حياة العلماء لفتنتهم ومحنتهم ومحاصرتهم والضغط عليهم بما لا تحمد عقباه لا سمح الله, في عاجل الدنيا وأجلها.

ودرج مؤخراً أن يلتزم بعض العلماء بوظيفة ودولة وراتب... واعتبر البعض الخلاص في هذا, والفرج...

لكن, وبكل جرأة, وبعد معاينة الواقع ومن جرّبوا, لا بد من القول:

1- إنّ هذا تمويث مبرمج لحياة العلماء من خلال دفن جلّ وقتهم في مسائل إدارية وتنظيمية, وصرفهم عن وظيفتهم الأصلية, في تحصيل العلم والتفرغ له والإزدياد منه ونشره بين الناس والدعوة إلى الله...

وبعبارة أبسط: إنّ الوظيفة الإدارية للعلماء إلتفاف على الهدف الأساس الذي قاموا من أجله.

2- لا يقاس العلماء بغيرهم من هذه الناحية, لأنّ غيرهم يبدأ عمله عند بدأ الدوام وينتهي بانتهائه... أما العالم فداومه قبل الدوام وبعده, وفي الصباح والمساء, وفي الليل والنهار... ويطلب منه إضافة "الوظيفة الإدارية":

التدريس والمحاضرات والانتقال إلى القرى وحضور المهرجانات والإحتفالات والإصلاح بين الناس والجواب على الأسئلة الشرعية والإستشارة والإستخارة والنصيحة "وتفسير المنامات"... والزواج والطلاق وحلّ النزاعات...

كل هذا, ولو كان واقفاً في الشارع أو مشترباً أو زائراً أو جالساً مع أهل بيته أو على مائدة الطعام, ولو كان متعباً أو منهكاً أو متوتراً أو منشغول البال...

وقد يحبّ البعض أن يقول: وما المشكلة هذا واجبه!؟

لكن:

ينسى أنه بشر، هذا أولاً... وبحاجة إلى أن يقرأ أو يراجع أو يستفسر أو يستزيد، وهذا ثانياً، ولا يوجد إنسان أو وظيفة في الدنيا فيها هذه "المواصفات"، هذا ثالثاً، ولا يستطيع بشر أن يقوم بكل هذه الأمور مجتمعة، هذا رابعاً.

ثم:

من يقول أن هذا واجبه، وواجبه فقط، والله سبحانه وتعالى لم يكف نفساً إلا وسعها؟

ومأساة هذا العالم تتضاعف إذا كان ناجحاً أو مؤثراً أو محبوباً أو موضع ثقة...

وليس الكلام في أن يقوم بواجبه أم لا، إنما هل يستطيع أن يقوم بهذا "الواجب"؟ خاصة أنه سوف يلام دوماً لأنه حتماً سيقصر ولن يستطيع القيام بكل هذه المهام والواجبات المتقدمة وحيداً.

فهل باستطاعتنا أو من الحكمة أو من الصواب إعتبره موظفاً كسائر الموظفين؟!!

وكم من المبالغة القول: أن أحداً من إخواني العلماء غير راض على "وظيفته" التي تبعده عن محيطه الطبيعي، وتفرض عليه ظروفاً، وأجواء تزعجه وتؤلمه... لكنّها الضرورة والظروف!

ولم أوكل الأمر إلى كاتب هذه السطور لنصح أكثرهم بترك هذه الأعمال، ليتفرّغوا لوظيفتهم الأساسية، لأنّ وظيفتهم الحالية من السهل إستبدالها بالكثيرين، أما وظيفتهم الأصلية، فلا يقوم بها إلا من نورّ الله قلبه بالإيمان، وأورثه علم الأنبياء (عليهم السلام)... وقليل ما هم.

أيّها الكرام:

إنّ "الوظيفة" لعالم الدين مقتل لوقته.. وعمره.. وما بذل حياته من أجله، وتعطيل لرافد من روافد الإسلام.

3- هل العمل "الوظيفي" يُثمن من جوع، أو يفني بالمطلوب؟

والجواب وبالفم الملآن: لا.

فالراتب المفترض في أكثر الأحيان يسدّ جزءاً بسيطاً من المصروف العام للعائلة، قد لا يتجاوز الربع.

وبامناسبة، وللعلم فقط، فإنّ راتب الحوزة في أحسن حالاته لا يكفي لإيجار منزل أو ثمناً لقطعتي ثياب!!!

وهل يختلف إثنان في ضرورة أن يعيش العالم في المجتمع, حافظاً لهيبته وكرامته, ليؤر فيه؟

وهل يستطيع القيام بواجباته لو سقط من أعين الناس او تجرأوا عليه لا سمح الله؟

إنَّ العمل الإداري الذي يأخذ أكثر الوقت لا ينتج فكراً ولا ثقافة ولا أبحاثاً.

إنَّ أدنى ما يمكن ان يعامل به العالم(أو أستاذ الحوزة) أن يكون له كأي أستاذ جامعي مخصّصات وعطل سنوية ومنح مدرسيّة وما يحتاجه في علومه وأبحاثه... أي أن يسان مادياً ومعنوياً.

إنَّ الوظيفة المحدودة والضيقّة لكون عالم الدين واجهة⁽¹⁾ هي مقتل كما تقدّم, إلا إذا كانت أساسية ومؤثرة وفاعلة, وهذا هو المطلوب, كأن يكون مشرفاً أو قيماً على صرح تربوي أو إجتماعي...

لكن هيهات: أين يكون هذا؟

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف, صفحة 53 حول المدراء والمسؤولين الذي يحتمون "برجال الدين".

العلماء والحوزة⁽¹⁾

ودأبت جماعات في السنوات الأخيرة بتوجيه الملاحظات و"الإرشادات" إلى الحوزة العلمية وطلابها وأساليب التدريس فيها.

هكذا بكل صراحة يتعاملون مع الحوزة كأنه لا رجال لها, ولا تاريخ, ولا فطاحل, ولا قيّمين.. أو كأنها مؤسسة سائبة, أو دار أيتام, أو مشروع مهجور لا صاحب له.

والكل يتبارى في طروحاته, ويتفنّن في أفكاره "النيرة" التي لا تفوت!

فمنهم من يرى أن يتعلم طلاب الحوزة اللغة الأجنبية, خاصة الفرنسية أو الإنكليزية.

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف, صفحة 82.

ومنهم من يوجب لهم علم النفس التربوي.

ومنهم من ينصح بأساليب التربية والتعليم.

ومنهم من يرجع مادة الرياضيات والفيزياء.

ويتمادى البعض في الحديث عن فنون وعلوم واختصاصات, حتى تخال أن طالب Super Man الحوزة يجب أن يكون جامعاً مانعاً أو

وقطعاً, ليس هذا حباً له, بل تجرؤا عليه, واستضعافاً له... فسائر أصحاب الاختصاصات لا يحق لهم التكلم عن إختصاصات أخرى, فأستاذ الطب لا يتدخل في منهج كلية الزراعة, والمحامي لا يتدخل في وضع كتب كلية العلوم, وأستاذ الفيزياء لا يحشر نفسه في قسم التربية والتعليم, والمهندس لا يخرج نفسه في تعليم طلاب الصيدلة...

بينما كل هؤلاء ينصّبون أنفسهم "أوصياء" على الحوزة وطلابها!!!

وللحق فقط نقول:

1- هل خلت حوزاتنا من رجالها و علمائها الذين قضوا عقوداً فيها يدرّسون؟

2- هل تدّعون أن إحاطتهم بالعلوم الحوزوية وتطوراتها ومراحلها وما فيها... أكثر من أهلها؟

3- هل تدريس اللغة الأجنبية لساعة في الأسبوع أو ساعتين, تجعل صاحبها ينطق بها؟ أليس بعضكم ومن أجل الاختصاص درس لغة غير مشهورة بستة أشهر كالروسية والبولونية والاسبانية, وهذه هي الطريقة الصحيحة في الدرس والاستماع والنطق؟

4- وهل كل طلاب العلوم الدينية بحاجة إلى اللغة الأجنبية؟ وأمّا من كانت له حاجة فعلية فليرسها بتفرغ كامل, خلال أشهر... ثم يمارسها مباشرة, وإلا نساها.

وهذا عن تجربة وخبرة.

5- وهل العلوم الإسلامية قاصرة عن التربية والتعليم, خاصة الدراسات القرآنية وعلوم الحديث وكتب الأخلاق ونظرياتها ودراساتها وحججها وتحليلاتها...

بل ندعو هؤلاء للإستفادة من هذه الكنوز الإلهية التي فاضت على البشرية من خلال علماء ربانيين, معروفين عند أهل السماء, أكثر من أهل الأرض.

وندعو هؤلاء إلى تصحيح الكثير من أفكارهم ومعتقداتهم التي أثّرت بهم, وربّما عن غير قصد, وحملت معها أوبئة يهودية وصليبية ومادية وإحادية وانحرافية وشوادية...

وندعو هؤلاء أن يتواضعوا قليلاً وينظروا إلى تاريخهم وتراثهم ودينهم وآراء السابقين...

وندعو هؤلاء ان يتشرفوا كثيراً بالإتصال بالسلسلة الذهبية النقة لعلمائنا الأعلام المتصلة مباشرة بالسلف الصالح التي تتلمذت على يد الأئمة(عليهم السلام) وصاحبتهم وجاورتهم وخالطتهم ونالت من بركات دعائهم.. فننصل بأنبياء الله الكرام(عليهم السلام).

وأما الإطلاع على الآراء الأخرى والنظريات الطارئة والمصطلحات المتداولة, فهذا شأن آخر, فهذا شأن آخر, ولا ينقص من قيمة ما نملك شيئاً.

وينبغي لمن يريد الخوض في هذا المجال أن يكون محصناً وقادراً على التمييز بين الصالح والفاقد ليردّ الشبهات, لا أن يصبح مجرد آلة تبشر "بكتب الضلالة".

6- وأمّا من يتحدث عن "الثقافة السياسية" فهي أمرٌ حيوي, لكن ملحاً إذا كان منفصلاً عن المبادئ العامة والأسس القرآنية إضافة للممارسة والمواكبة والمتابعة⁽¹⁾...

وبديهي أنّ هذا لا يكون بدرس أو كتاب أو محاضرة, كما أثبتت التجربة, بل بأجواء عامة محيطية وإحتكاك مباشر ومتفاعل ضمن ظروف متعاطية وممارسة للعمل السياسي, بغض النظر من أن يكون المحيط محيط ثورة أو دولة أو حزب أو مقاومة أو إقامة أو هجرة... أو كل هذا.

فالسياسة ممارسة قبل كل شيء, ولا يمكن أن يكون مسلم يبلغ رسالة الله تعالى, ويكون بعيداً عن الأجواء السياسية, وإلا كان إيمانه ناقصاً⁽¹⁾.

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف, صفحة 63 في شأن من تصدى للأمور السياسية من دون العلم بسنن النبيين والأولين والتاريخ والأحكام الشرعية.

7- أمّا من يستشهد بأن العلماء في التاريخ, كانوا ضليعين في الفقه واللغة والتفسير والحديث والفلك والطب والرياضيات والهندسة..

فصحيح أنّ هذا كان لبعض النماذج النادرة, وينسب متفاوتة تحدّث عنها التاريخ, لكنه ينسى أنّ العلوم اختلفت وتبدّلت وتنوّعت وتعمّقت وأصبحت أكثر تخصصاً وتشعباً... ليس فقط بيننا وبين من كان منذ مئات السنين, بل من كانوا قبلنا منذ عقود يسيرة:

فالطبيب كان طبيباً فحسب حتى أمد قريب.. واليوم أصبح للأطباء عشرات الاختصاصات, ونشأت في الفرع الواحد في السنوات الأخيرة أقسام عديدة لكل عضو من أعضاء الحسم الإنساني.

والأستاذ كان أستاذاً في كل العلوم, واليوم أصبح له إختصاصات.

(1) راجع كتاب " وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف, صفحة108 في من يفرق بين السياسة والدين.

والمهندس كذلك وغيرهم, حتى أصبح لتربية النحل إختصاص, ولتربية الدجاج إختصاص... وللرياضة البدنية غتصاص, ولتربية الأطفال إختصاص.

وحتى لا نسترسل:

هل المطلوب من طالب الحوزة أو من غيره أن يلمّ بكل هذه الإختصاصات؟!!

منتهى الأمر أيُّها الكرام أن يستشار أهل الخبرة في إختصاصهم عند الحاجة... هكذا يجب أن نكون وهكذا هي كافة المؤسسات والوزارات في العالم.. عندما لا تغلب المصلحة الشخصية

كلمة أخيرة:

لم لا يطلب هؤلاء من أنفسهم ما يطلبونه من طلاب الحوزات العلمية؟

8- إنّ حوزاتنا العلمية التي خرجت أساطين العلم وجهابذة الفكر وأبرع الأساتذة وأفضل المرّبين, عبر التاريخ, وفي أحلك الظروف, واستمرت وما زالت لمئات السنين... لقدرة على المتابعة والأستمرار والإصلاح والتجدد الدائم... ولم تدخل في مرحلة العجز أو الغيبوبة أو بحاجة لإجراءات الطوارئ.

فقليل من التواضع يا كرام

وما البركات التي نعيشها والكرامة والعزّة والوُدّد إلا من آثار هذه الحوزات وعلمائها وطلابها وأسرارها...

9- أيُّهما أجدى الاتكال على أسس الماضي والمبادئ التي لا يغيرها الزمن لننتقل نحو المستقبل بثبات وثقة, أم الإنبهار والانهبام امام ما هو جديد لمجرد أنّه جديد, وكأننا لا نملك شيئاً؟!!

وإذا سمح لنا بنصيحة فهي بالرجوع والتأمل قليلاً في الكافي الشريف ومرآة العقول والمحجة البيضاء وميزان الطباطبائي وجواهر الكلام... مع التدبر والاعتبار لمن ألقى السمع وهو شهيد.

أيُّهما أنسب وأصح, أن تكون المصادر الأصلية حاكمة أم محكوماً عليها؟

10- مع التسليم ببعض الأخطاء والعيوب ونقاط الضعف في مناهج الحوزة وأجوائها مثلاً، وهذا كان وسيكون، لأنها سنة الله في خلقه، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً مفتوحاً لكل طامح في الظهور أو العلو... ولنتترك الساحة لفرسانها فهم أعلم بمدخلها ومخارجها.

11- إذا كان لا بد من تنظيم للحوزة:

أ- فمن يدعو إلى تكريم أساتذتها المخلصين، ويصونهم ويحفظهم... قبل الحديث عن الإدارة والتنظيم؟ هذا مع العلم، أن الحوزة ليست تكميلية أو ثانوية، ولا يمكن أن تكون كذلك.

ب- ومن يؤمن لطلاب الحوزات المخلصين والجادين والمضحّين إحتياجات الحياة، حفاظاً على دينهم وماء وجههم وكرامتهم وحرّيتهم وخطّهم واستقلاليتهم... وأخرتهم؟!

هذا مع العلم أن "المنحة" الحوزوية يخجل المرء من ذكرها... وقد لا تكفي أجرة طريق لزيارة الأهل.

ج- وقبل الكلام عن تنظيم الحوزة، لماذا حصار رجالها والإلتفاف عليهم وخنقهم؟

أيها العزيز، لمصلحة من الذي يجري؟

يقول العبد الصالح رضوان الله عليه:

"يجب أن لا تتخطى الحوزات الفقاهيّة نفس النظام الذي كنتم تتبعونه في الدراسة، حافظوا على الفقه ومقدّماته، وعلى الفقاهة المحكمة... إنّ هؤلاء الفقهاء هم حصون الإسلام، وهم الذين حفظوا الإسلام.

يجب أن تكون عناية الحوزات بالفقه والفقاهة أكثر من عنايتها بأي شيء آخر... وإذا جاء أشخاص إلى الحوزات واقترحوا أنه ليس من الازم أن يكون الفقه بهذا الطول والتفصيل، وأنه تعالوا نفعل أشياء أخرى، فإنّ هؤلاء الأشخاص إمّا مشتبهون وإما عملاء.

يجب أن يبقى الفقه على نفس قوّه الأولى التي كان عليها... حافظوا على الحوزات الفقاهاتية بنفس قوتها الذاتية التي كانت عليها.

إنّني أخاف من أمر وهو: أن تتراخى الحوزات العلمية بسبب بعض الدعايات عن عملها الأساسي الذي هو حفظ الفقاهة، فينتفي الفقه تدريجياً، ويصل أولئك الأشخاص إلى أهدافهم ولو بعد مدّة طويلة.

إنني كرّرت وأكدت دائماً بأنه يجب المحافظة على نفس الأسلوب التقليدي في الدروس الحوزوية.

يجب أن يكون الفقه هو نفس هذا الفقه الذي عندنا، وإذا انحرفنا عن الفقه التقليدي فسوف يضمحل الفقه ويموت".

ويقول رحمة الله عليه:

"من الممكن أن يأتي أشخاص يقولون إنه يجب وضع فقه جديد، وهذا هو بداية هلاك الحوزة، لأنَّ الفقه التقليدي هو الذي حافظ على الإسلام. ويجب على كل الهمم أن تنصبَّ للمحافظة على الفقه بنفس الوضع الذي كان عليه".

"أما بالنسبة لطريقة التحصيل والتحقق في الحوزات فإنني أعتقد بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري، وأرى عدم جواز التخلف عن ذلك".

ويقول:

"من اللازم أن لا يسمح العلماء والمدرِّسون المحترمون بانحراف الدراسة في مجال الفقه والحوزات الفقهية والأصولية عن طريقة المشايخ المعظمين، التي هي الطريق الوحيد لحفظ الفقه الإسلامي.

وليحرصوا على حفظ الفقه التقليدي الذي هو إرث السلف الصالح، والإنحراف عنه إضعاف لأركان التحقيق والتدقيق".

العلماء ودورهم

يتردد كثيراً في هذه الأيام القول:

بصراحة، العلماء كثير، ويا ليتهم يقومون بدورهم، أو يلتزمون مسجداً... أو يعطون درساً...

وغالباً ما يرافق هذا التمني تصريح بالعتاب وتلميح للتقصير والملامة!!!

وبصراحة نقول:

1- العلماء ليسوا أكثر بالطريقة التي يحكى عنها.. هذا مع تفاوت في شخصياتهم وتحركاتهم وتأثيراتهم، وهذا شئ طبيعي كما تكرر فيما سبق، فهم بشر.

2- المتحركون منهم والمخلصون والمؤثرون والفاعلون ... من إهتم بهم وأعطاهم دورهم؟ بل كم واجهوا من عقبات وصعوبات، كان من المفترض أن لا تكون.

هذا الإهمال وهذه العقبات تركت آثارها وخسائرهما على الجميع... بمن فيهم الذين ظنوا أنهم يحسنون صنعا!

والأهم، أنها أضاعت طاقات وإمكانات خسرهما الإسلام والمسلمون.

3- هل دور العلماء في المسجد فقط؟

4- وأين المساجد في مناطقنا، وهل هي كافية؟ هذا مع العلم أن ما قيل حول كثرة العلماء يقال عن المساجد أيضاً!

فمعلوم أنها قليلة جداً ولا تكفي المترددين إليها.

5- أوليس دور العلماء أيضاً في الإذاعة، والتلفزيون، والإعلام المقروء، والمدارس، والجامعات والندوات؟...

وهل المطلوب منهم أن يقاتلوا ليدخلوا إلى هذه الميادين؟

والبلاء واقع، إن فعلوا وإن تركوا!

وكم من الأفكار والمفاهيم والمصطلحات التي تنتشر من خلال وسائل الإعلام الإسلامية ولا يملك العلماء تصحيحها وتصويبها على من التحزب المتكرر.

وهل يمكن تسليم هذه الوسائل الإعلامية على خطورتها وأهميتها إلى من أشبعت أفكارهم بالمفاهيم الدخيلة، ولا يعرفون من الإسلام إلا ظاهراً بسيطاً؟

ليس كل العلماء يتحملون مسؤولية تعطيل دورهم...

ولعل في الفم ماء!

العلماء وجملة الألقاب

في كثير من الأحيان نرى مظاهر الاحترام المبالغ فيها تجاه من يحمل لقباً اجتماعياً أو أكاديمياً ما... وليست المشكلة هنا، بل قد يكون ذلك على حساب علماء الدين بإهمالهم والتهاون في شأنهم... وهم بالطبع لا يحملون مثل هذه الألقاب وإن كان مستواهم العلمي عالياً.

فمجتمعتنا "ومتفقونا" غالباً ما ينبهرون بالألقاب، فيقدمون أصحابه ويعرفونهم مع مدح بلا حساب... مع أن منهم من يستحق هذا اللقب ومنهم من لا يستحق، ومنهم من يسقط من عينك إذا استمعت إليه، ومنهم من يصدرك بمستواه وأفكاره ومنطقه وتحليله ومعلوماته...

ومنهم من يعتمد على الصيت والهالة التي تحيط به دون المحتوى العلمي الحقيقي.

ومنهم من لا تراه إختصاصياً... حتى في إختصاصه!!! وهذا كثير.

ومنهم من يزهك بالعنوان الذي يحمله... وتشكر ربك سبحانه أن نجّك من هذا البلاء.

وكم من من يحملون ألقاباً فضحهم جهلهم... أو أهل الاختصاص من زملائهم وأقرانهم.

وكم رأينا، وفي مناسبات عامة، أصحاب هذه الألقاب لا يجيدون قراءة النص المكتوب أمامهم، وضبطه نحويًا ولغويًا... ويعتبر البعض أن الأمر ليس هاماً!

على كل حال، ما يهمنا في الموضوع، أن هذا يحصل على حساب علماء الدين في بعض الأحيان:

لأنهم ليسوا أهل إختصاص!!!

ولأنهم لا يحملون ألقاباً!!!

هذا مع العلم أن العديد ممن نعرف من علمائنا الأفاضل يشرفون أو يساهمون في تحضير الأبحاث العلمية ويساعدون أصحابها بما فيها رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه.

ومنهم من له من المستوى العلمي أكثر بكثير من حملة الألقاب والعناوين.

لكن المشكلة، أنه شيخ فحسب.

هكذا وبكل بساطة، وبالرغم من السنوات الطويلة التي قضاها في الدرس والتدريس، وبالرغم من ثقافته العامة، وربما دراساته العديدة وخبرته وتعمّقه في بعض الميادين...

لكنه لن يتعدى على حال لقبه أعلاه، الذي لا يطعم خبزاً في هذه الأيام!

ويبقى لك أيها الأخ الكريم أن تتصوّر الحال عندما يتكلم صاحب اللقب أو العنوان عن الفتاوى "المتزمتة" التي لا تناسب روح العصر وحضارة القرن العشرين، وعن العقلية الدينية "المتخلفة"، وعن "التطرف" الديني، وعن الإسلام "المعتدل"... وقد لا يبخل ببعض النصائح "الإرشادية" لتطوير الدين!!!

ورد في الوصية الخالدة على سبيل التحذير من مثل هؤلاء:

" وإذا كان المراد التجدد والتمدّن ذلك المعنى الذي يطرحه بعض المثقفين المحترفين وهو الحرية في جميع المنكرات والفحشاء حتى الشذوذ الجنسي وما شابه، فإنّ جميع

الأديان السماوية والعلماء والعقلاء يعارضون ذلك بالرغم من أنّ المنبهرين بالغرب أو الشرق يروّجون لذلك بناءً لتقليدهم الأعمى".

وأحياناً ينقل بعضهم فتاوى شرعية لم يسمع بها من قبل!

كل هذا وهو موضع إعجاب وتقدير لأنّه عن "علماء" غربيين من اليهود وأهل الشواذ والانحراف!

أمّا علماء الدين فلا ينقلون إلا عن رسول الله وأهل بيته الصالحين (عليهم السلام).

John Locke فذاك "عالم" في التربية والفلسفة وعلم النفس... لأنه درس نظريات, Immanuel Kant Netche, David Hume, F.Hegel, Sigmund Freud, Rene Descartes, Bertrand Russel, Friedrich Engels.

أما هذا فليس بعالم لأنه ينقل عن القرآن ومحمد وعلي بن أبي طالب والصادق بن طاووس والكليبي والشهيد الثاني والنراقي والمجسسي وابن سينا وصدر المتألهين.

وذاك يربطن بالكلمات والمصطلحات الأجنبية... وهذا لا يفعل ذلك.

نعم ليس كلُّ علمائنا أهلاً... لكن أين من هو أهل؟

ولمصلحة من الذي يجري؟

الشائعات على العلماء⁽¹⁾

وليس الهدف من هذه الشائعات إلا النيل من مقامهم وإسقاطهم من أعين الناس.

ولا يجوز نقل هذه القصص، فضلاً عن المشاركة في أي نوع من أنواع نشرها، كالاستماع والتبسم والتشجيع... خاصة أنّها مغرية في نواذرها ومفرداتها كأي حرام.

ويلاحظ:

1- أنّ الناس يتناقلون هذه الشائعات للتسلية والفكاهة، وإن كانوا لا يصدّقون أكثرها.

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف، صفحة 73 حول الشائعات تجرّواً على علماء الدين.

2- أن من يساهم في هذه الأجواء إنما يدخل في الكذب والغيبة والافتراء عن قصد أو عن غير قصد.

3- أن نفس هذه الشائعات تنتشر وفي وقت واحد في أكثر من منطقة وبنفس الصيغة... ولا يمكن أن يكون ذلك صدفة أو عبثاً.

ومن جملة هذه الأكاذيب:

1- العلماء يأكلون كثيراً:

ويصوّرون ذلك بطريقة فكاھية تهكّمية "كاريكاتورية"...

مع أن العلماء كغيرهم, منهم من يأكل كثيراً, ومنهم من يأكل قليلاً, ومنهم من يتقيّد بالسنن والمستحبات في ترك التخمّة, والأكل عن جوع...

وهذه أهدى الطرق والأقرب الى الله تعالى.

ثم, لو كان هذا صحيحاً, هل يعتبر حراماً, وهل يجوز التهكّم عليهم؟

فكيف لو لم يكن صحيحاً, وهذا هو الواقع.

ويجب عليك أنت وهم وسائر الناس أن ترجعوا إلى سنة رسول الله (ص), وليس إلى سنة مخترعة.

2- العلماء يتزوجون كثيراً!

مع العلم أنهم في ذلك ليس أكثر من غيرهم.

ولو كان ذلك صحيحاً, ما العيب فيه؟

وهل يجوز لك التدخل في خصوصيات الناس وأعراضهم وحياتهم؟

ومن كان مؤمناً حقاً وشريفاً لا يطعن في علماء الإسلام, بنفس الطريقة والأسلوب الذي يستعمله الكفار للطعن بشخصية وحياة وزواج رسول الله(ص).

3- العلماء يتصرفون في الخمس!

وهم إما موثوقون, فكيف تطعن بهم, وهم أعلم وأحرص على أموال المسلمين وعلى تأدية الأمانة إلى أهاها؟!!

وإما غير موثوقين, فالملامة عليك لا لك, لأنك تضع الأمانات عند غير أهلها.

4- العلماء ينفقون الأموال على البيوت الواسعة والسيارات الحديثة!

أولاً: هذا ليس صحيحاً, لأن أكثرهم عند حد الوسط أو دون.

ثانياً: عليك أن تنتظر إلى سنة رسول الله(ص) في ذلك.

ثالثاً: عليك أن تفرّق بين الزهد الحقيقي ومعناه وبين الزهد الموهوم والشائع.

رابعاً: لم تحرم ما أحله الله عزّ وجلّ .

خامساً: أجلك أن تكون شيوعياً أو ماركسياً أو حاقداً في نظرتك إلى الأمور.

سادساً: هل يجوز لك منع مسلم عن ذلك ما دام ينفق من ماله وحلاله.

سابعاً: حتى مع وجود فقراء في المجتمع, هل تستطيع أن تلزم مسلماً بأكثر مما أوجب الله تعالى عليه.

ثامناً: هل لو امتنع عن ذلك, سوف تتغيّر سنة الحياة وينتهي الفقراء في المجتمع!

تاسعاً: لماذا التهمة؟ ولعلمهم يملكون تجارة أو عقاراً أو إيجاراً أو إرثاً أو غنى أو استثماراً.

عاشراً: ماذا ستقول عن ائمة وعلماء وعبّاد وزهّاد في التاريخ ممّن نجّل ونقدس, وقد ملكوا أموالاً كثيرة, واشتهروا بالغنى واليس.

حادي عشر: كيف تتبع العلماء في صلاتك وصومك وحجك وزواجك وحلالك وحرامك... وأخرتك, ثم تتّفهمهم؟

وهل هذه أعظم أم الأموال؟

فيا أيّها المسلمون, إيّاكم أن تكونوا أداة بيد الأعداء والكفار, وأن تقوموا بأعمال أهل الفسق والجهالة, فهذا من علامات قلة الدين والورع.

قول بعض العلماء في حقّ
بعضهم (1)

حدّثتنا بعض النصوص الشريفة عن الحسد والغيرة بين العلماء... وعن آفات العلماء.
وهذا أمرٌ واقع لا ينكره أحد.

وهذا الواقع المرُّ يساهم أيضاً في تضعيف العلماء وحصارهم وتقليص دورهم لما يرى
الناس من تنافس فيما بينهم وتشاجر وتقاتل سببه الأساس حبُّ الدنيا.

ومن صور هذه الوقائع المؤسفة:

1- أن ينتقد أحد العلماء أقرانه أو طلبة العلوم الدينية ويخرج بهم, كأن يقول عنهم:

(1) راجع كتاب "وسوسة الشيطان الرجيم" للمؤلف, صفحة 77 حول العلماء.

"مشايخ آخر زمان" أو "معمّمين" أو "تفقيس ماكينات" (أقول هذا أنا كاتب هذه السطور
متأسفاً ومضطراً)... فيسقط من أعين الناس ويسقطهم. ويضعف ويضعفهم.

وكان الأجدى أن يحتضنهم ويرعاهم ويصونهم... ويكبر بهم.

أولاً, أن طالب العلم يبدأ صغيراً ثم يكبر, وهذه سنّة الحياة.

ثانياً, نسي سيرة العلماء والصالحين والسلف الصالح.

ثالثاً, كان بعض المخلصين من العلماء ينشرون علومهم ونظرياتهم وكتبهم... دون أن
ينسب ذلك إليهم, ويكتفون بعلم علام الغيوب سبحانه دون علم الناس.

رابعاً, وكان بعضهم يتجنب الجواب ويقدم غيره, إحتراماً وإجلالاً لهذا الغير, وخشية
وتورعاً من الله تعالى.

خامساً, ما نفع المرء لو كان كبيراً عند الناس, صغيراً عند الأرباب عزّ وجلّ؟

الفصل الثاني

السؤال المخرج للجميع:

هل نشجّع الشباب على طلب العلوم الدينية؟

وبعد هذه المرارات التي رأينا، والواقع المحيط، والمآسي المستمرة.. هل نشجّع الشباب على طلب العلم؟ والبديل: الاستتكاف عن طلبه.

فأيهما نختار؟

وهل هذا الواقع يخدم سيرة الأنبياء (عليهم السلام)؟

وإذا لم "يسمح" للعلماء في هذه الفترة وهذه الظروف بالعمل... فمتى يسمح؟

وإذا لم يصوّب العلماء المسيرة، ضمن الموازين الشرعية، فمن هو المؤهل لذلك؟

أيها الكرام:

إنّ عدم الاعتراف بما تقدّم، وخلق التبريرات والأعذار... إنكار لوجود الشمس في رابعة النهار، ومحاولة هرب من واقع يتحدث عنه الكل!

إنّ خيرة شبابنا التي اختارت طلب العلم، وحمدنا الله سبحانه على هذه النعمة الجليلة، تراهم اليوم:

- منهم من ترك الدراسة

- ومنهم من يفكر بالترك

- ومنهم من يتخبط وينقصه الوضوح

- ومنهم من تراه مربكاً في حياته

- ومنهم من لم يتعمم خشية المحذور!

- ومنهم من يفتش عن عمل يعتاش منه

- ومنهم من يعاني.

فلماذا كل هذا؟

وهل ما يجري هو تنظيم للمسيرة؟

أيها الغيارى:

إنَّ ما تقدم, هو دفاع عن الإسلام, يجب على الجميع الحرص عليه...
أما لا سمح الله, إذا شعر أحدُ بنشوة الإنتصار, فلا يعني هذا إلا نقصاً في دينه وإيمانه.
ورحم الله العبد الصالح عندما قال "إهانة العلماء إهانة للإسلام".
ورحمة الله على البسطاء الذين بحَّت أصواتهم وهم يهتفون "العلماء قادة المسيرة".
واليوم يسألون:

من للمسيرة إذا "غُيب" قادتها؟

اللهم إلا إذا كان الشعار من أساسه خطأ!!!

كلمة أخيرة

العلماء ليسوا ملائكة

كلمة أخيرة لا بد منها:

فالعلماء ليسوا معصومين وليسوا ملائكة بل بشر تجاه الجاه والمنصب والضعف
والمال والنساء وسائر أمور الدنيا.

وفيهم الصالح والطالح, وأهل الخير وأهل الشر, وأهل الدنيا وأهل الآخرة, وأتباع الديان
وأتباع الشيطان...

وقد نطقت الآيات والروايات بهذا..

إلا أن هذه النماذج لا يجوز ان تكون مبرراً للآثام والأوهام والإفتراءات...

فالصالح منهم لا شك أنه أفضل من الملائكة, وهؤلاء لا تخلو الأرض منهم, ففتش
عنهم وراقبهم وكن في خدمتهم مطيعاً معيناً, فهم الأمناء على الرسل والرسالة, وفي
إعزازهم إعزاز للإسلام, وفي توهينهم نيلٌ من الإسلام.

ختاماً: هل انتهى دور العلماء؟

بعد كل هذا, يطرح السؤال مجدداً:

هل انتهى دور العلماء؟

يطرح السؤال, لا ليجاب عليه بالطريقة العادية (الكلاسيكية) بنعم أو لا... لأن لا أحد يجرؤ على القول: نعم لقد انتهى دور العلماء.

يمكن للمجيب أن يناور أو أن يتقاذف الكلمات أو يوزع المسؤوليات والتهم... وقد يستفيض في الأسباب والظروف, وقد يحلل ويعلل... يمكن أن يفتش

عن طريقة للحفاظ على ماء الوجه و"تأخير الفضيحة"...

لكن:

لن يستطيع إنسان مهما علا كعبه أن يحيل العلماء على التقاعد القسري...

التاريخ يشهد,

الأحداث تشهد,

وقبا كل شيء وكما نور الأنبياء لا يخبو, كذلك, نور العلماء لا يخبو, فالأمانة بيدهم وهم حافظوها...

لن يحاصروا في لباس الكهنوت.

بل يحملون علماً لن يموت.

وحتى يأتي الجواب:

العلماء في إجازة.

إلى هنا وانكسرت ريشة القلم

كلمة تبقى للتاريخ:

ما كتبت هذه الكلمات إلا "صدعاً بالحق", وإني,

أمن في سربي
عزير في قومي
معافى في جسمي
أملك قوت يومي
يأتيني رزقي رغداً
ولم يكن ذلك, رغبة في رضى أحد,
أو ضرورة فرضت
أو مراعاة لمخلوق
أو استجلاباً لمنفعة
أو طمعاً في جاه
أو رغبة في علو
أو رفعاً لمضرة
أو ظروفاً مجبرة
أو تطورات مفاجئة
فإني في وضع أغبط عليه...
لكنه, ليس سبباً للسكوت
ولا عذراً للصمت

" وأيم الله, ... ما ضعفت, ولا جينت, ولا خُنت, ولا وهنت, وأيم الله, لأبقرنَّ الباطل حتى
أُخرج الحق من خاصرته"⁽¹⁾

(1) نهج البلاغة, الخطبة 104.

الفهرس

9.....	المقدمة
13.....	الفصل الاول: كلمة حق
13.....	بين المعمّم والعالم!
19.....	بين "المثقفين" و"رجال الدين"
23.....	العلماء والسياسة
35.....	العلماء والمؤسسات الإسلامية
39.....	العلماء وأخطاؤهم
43.....	العلماء والخمس
45.....	العلماء ومعيشتهم

49.....	العلماء و"الوظيفة"
55.....	العلماء والحوزة.....
67.....	العلماء ودورهم.....
71.....	العلماء وحملة "الألقاب"
77.....	الشائعات على العلماء.....
83.....	قول بعض في حق بعضهم.....
87.....	الفصل الثاني: سؤال محرج للجميع.....
87.....	هل نشجع الشباب على طلب العلوم الدينية؟.....
90.....	كلمة أخيرة.....
90.....	العلماء ليسوا ملائكة.....
92.....	ختاماً: هل انتهى دور العلماء.....
93.....	كلمة تبقى للتاريخ:.....

صدر المؤلف

1. آداب السلوك
2. سبيل الرشاد
3. زبدة الاربعين
4. وسوسة الشيطان الرجيم
5. قبسات من نهج البلاغة
6. حديث السحر
7. أختاه
8. أخي الحبيب
9. أخلاق النبي
10. همسات للآخرة
11. قال علي
12. صفات اليهود
13. نهج الصالحين
14. قلوب تهوي الى عرفات
15. آداب إجتماعية
16. أبتاه
17. أخي المسلم
18. الإسم الميمون لقرة العيون
19. وصية المسلم